دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	ألبسة المسلمين إبان سقوط غرناطة وتأثيرها على الزي المغربي
المصدر:	المجلة العربية للعلوم الإنسانية
الناشر:	جامعة الكويت - مجلس النشر العلمي
المؤلف الرئيسي:	أبو دياك، صالح محمد فياض
المجلد/العدد:	مج 7, ع 25
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1987
الشهر:	شتاء
الصفحات:	136 - 158
رقم MD:	212044
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	تاريخ الأندلس، الموريسكيون، الزي الشعبي، سقوط الأندلس، الأزياء المغربية، الحضارة الإسلامية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/212044

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

ألبسة المسلمين إبّان سقوط غرناطة وتأثيرها على الزيّ المغربي

صالح محمد أبو دياك*

* حصل على دكتوراه الدولة من جامعة الاسكندرية عام ١٩٨٣ م .
يعمل أستاذاً مساعداً بدائرة التاريخ في جامعة اليرموك ـ الأردن .

الملخص

يتناول البحث التعريف بالموريسكيين ، وما قاموا به من بطولات خالدة سجلت صفحات بيضاء في تاريخ الأمة العربية الإسلامية ، مشيراً إلى إصرارهم ومثابرتهم على المحافظة على معالمهم ، بالرغم من تعرضهم للمحن والنكبات التي أصابتهم .

ومن نماذج إصرارهم ، محافظتهم على ألبستهم التي كانت العلامة المميزة لشخصيتهم العربية الإسلامية ، التي ترمز إلى ماضي أجدادهم التليد ، متأثرين بألبسة أهل غرناطة المزامنين لهم . وأشار البحث إلى مدى التأثير والتأثر في الأزياء المغربية عامة والتونسية خاصة ، وإلى النقلة الحضارية «كما» و«كيفا» التي قاموا بنقلها من الأندلس إلى المغرب ، وربما إلى أقطار عربية وإسلامية أخرى .

وأشار أيضا إلى «التنوع الحضاري» الذي كانوا همزة وصل فيه ، فنقلوا كثيرا من الألفاظ التي لها تأثير في أوساط العامة من أهل المغرب إلى يومنا هذا ، بعضها اختلف مدلوله ، وبعضها ما زال مستخدما «لفظا» و«مدلولا» .

وأشار البحث أيضا إلى سرعة تطور الألبسة شكلا وصنعا ، مثلها في ذلك مثل الغناء ، وسرعة تطوره عند الأمم . فقد نتج عن هذا التطور ظهور بعض الأشكال والمواد التي لا تتناسب وتقاليد الحياة الإسلامية ، كالقبعة ، والمساحيق على الوجوه ، وكشف الصدر . كما حصل تطور في الأحذية من حيث الشكل ، ومادة الصنع ، والمغالاة في الزخرفة ، شأنها شأن الملابس . ويرمز ذلك إلى الرخاء المادي لدى الموريسكيين ، وانصرافهم إلى التمتع بالحياة وما فيها من ملذات . ولعل هذا ناتج عن التأثير النفسي لديهم ، بسبب ما أصيبوا به من نكبات ومحن ، جعلتهم لا يثقون بغدهم ، لأن أعداءهم عملوا على التنكيل بهم . وبالرغم من ذلك صمدوا ببطولة أمامهم ، واستصرخوا إخوانهم من العرب والمسلمين لنجدتهم ، لكن المساعدة لم تكن تتناسب وحجم المشكلة ، مما أدّى إلى تفريقهم في مختلف البقاع العربية والإسلامية ، حيث أحيوا فيها تراثهم ، فقد سمّوا كثيراً من المناطق التي نزلوا فيها بأسماء مناطقهم بالأندلس ، ومارسوا جميع أنماط الحياة الأندلسية في هذه المناطق . ومع مرور الزمن امتزجوا بالسكان مع بقاء بعض الآثار التي تعود إليهم في المدن المغربية ؛ في الجزائر وتونس ومراكش .

تـوطئـة

إن الغرض من كتابة هذا البحث هو التعريف بماضي أمتنا المجيد على الأرض الأندلسية ، فقد مكثت على الأرض المغربية المجاورة لها زمنا طويلا ، شاهدت خلالها بعض المظاهر الأندلسية في بعض الحواضر والأرياف ، وعلى الرغم من ضآلتها ، إلا أنها تكشف عن قوة إيمان هذه الأمة واعتزازها بأرومتها . أما الدوافع للكتابة عن الملابس ، فمرده يرجع إلى أهمية مظهرها ، وما ترمز إليه من معالم الشخصية العربية الإسلامية . وقبل الحديث عن هذا الموضوع، لا بد لنا من التعريف الوجيز بالموريسكيين[١] ، وسبب تسميتهم بهذا الاسم ، الذي أصبح علامة مميزة لهم عند أهل الأندلس والمغرب ، إلى جانب تسميتهم بأهل الذمة ، وبالمسلمين الذميين من قبل إخوانهم المغاربة ، بسبب عدم فهم أوضاعهم . لكن طبقة السراة من الأندلسيين كانت مدركة خطورة الوضع في الأندلس ، فقد أشار الشاعر إبراهيم بن الحاج الغرناطي ، والأديب الشاعر ابن الخطيب ، وكلاهما من أهل القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي ، إلى الأخطار المحدقة بالبلاد الأندلسية ، ووصف ابن الخطيب الأمة الأندلسية ، بالأمة المغربية المنقطعة (المقري، ١٩٦٨، ج ٤ : ٤٤٤)، ويأتي أبو جمعة المغراوي [٢] فيصفهم بنفس الصفة على الرغم من البعد الزمني الكبير بينهما ، ويسميهم بالغرباء تنزيها لهم عن اسم الموريسكيين ، الذي أطلقه عليهم الأعداء ، كما سماهم الونشريسي[٣] في كتابه (أسني المتاجر) بالذميين المساكين (الونشريسي ، ١٩٥٧ : ١٤٢ ـ ١٤٣).

أما تسميتهم بالغرباء ، فكانت هي التسمية المفضلة لديهم ، وقد أطلقوها على أنفسهم أثناء نداء الاستغاثة الموجه إلى السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤٨ هـ / ١٥٤١ م . وليس لدينا دليل قاطع على هذه التسمية ، لأن الغرباء لغة تعني الأباعد ، وهم المنفيون من ديارهم المبعدون عنها . وتعنى الذين يشعرون بالغربة وسط محيط مغاير لهم . وكل هذه المعاني تنطبق عليهم ، لأنهم كانوا في حكم المنفيين ، ولأنهم كانوا يقيمون في دار حرب . ويظهر هذا في قولهم في القصيدة التي أرسلوها إلى السلطان بايزيد يطلبون فيها منه المساعدة .

سلام عليكم من عبيد تخلفوا بأندلس بالغرب في أرض غربة
(المقري، ١٩٣٩، ج ١ : ١١١ـ ١١٢)

وربما تكون تسميتهم هذه اقتداء بقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) عندما سئل عن الغرباء فقال : الذين يحيون ما أمات الناس من سنتي [٤] ، وفي حديث آخر : «بدأ الإسلام غريبا ، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء» . ويظهر هذا المعنى جليا (في فتوى المغراوي أبي جمعة) عندما يقول : «فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس . . وارثى سبيل السلف الصالح في تحمل المشاق» .

وواقع أمرهم أنهم أكرهوا على ترك دينهم على أن يستبدلوه بدين النصرانية ، فمنهم من تنصّر ، ومنهم من ضحّى بماله وأبنائه في سبيل الحفاظ على دينه ، فآثر الهجرة على البقاء ، فركب أول سفينة متجهة للمغرب ، معرضا نفسه لمخاوف البحر وأهواله[٥] ، وإن نجا منه فلا ينجو من القتل على أيدي

العصاة والمفسدين المنبثين في بعض نواحي المغرب . لكن بعضهم الآخر آثر البقاء على الأهوال مع الاحتفاظ بالدين والتظاهر بالمسيحية . وظل هذا الأمر حتى أوائل القرن السابع عشر. ويشير المؤرخ الاسباني (ماريول) في كتابه (ثورة موريسكيي غرناطة) بقوله : «إن المسلمين المتنصرين كانوا يشعرون دائما بالحرج من الدين الجديد ، فإذا ذهبوا إلى القداس أيام الآحاد ، فإن ذلك من باب مراعاة العرف والنظام فقط ، وهم لم يقولوا الحقائق قط خلال الاعتراف . . .» (Marmol, 1946: 11) .

وصفهم الفقيه المغراوي بحسن تمسكهم بالعقيدة ، والعطف على إخوانهم الفقراء بقوله : «إخواننا القابضون على دينهم كالقابضين على الجمر». وقد أوصاهم بالملازمة لعقيدتهم ، والتمسك بدينهم ، آمرين من بلغ من أولادهم بالتمسك بالدين . وطالبهم بإقامة شعائرهم خفية .

وظل المسلمون يدينون بالإسلام في سرائرهم ، ويعيشون مظاهر العبادة النصرانية في خارجهم ، فهم ليسوا مثل المسلمين ، في أن ظاهرهم مثل باطنهم ، لأنهم يعيشون في ظروف تختلف عما يعيشه المسلم في أرض الإسلام ، فهم يعيشون أزمة ضمير وحياة صعبة بين معتقدات إسلامية راسخة في صدورهم ، يحرصون عليها ، وبين طقوس دينية فرضت عليهم وهم مجبرون على القيام بها .

وأيا ما كان أمر الموريسكيين في الأندلس ، فقد أدوا خدمات جليلة لكل دولة نزلوا فيها . فعملوا في بلاط الدولة العثمانية ، مترجمين لها ، وعيونا على أعدائها ، وجنودا يجاهدون مع جنودها جنبا إلى جنب في ساحات القتال . كما عملوا في بلاطات بلاد المغرب ، وانخرطوا في صفوف جنده . وكان الأمراء في كل عصر يحاولون الإكثار منهم في مختلف أجهزة الدولة حتى فترة متأخرة من تاريخ المغرب ، ففي عهد السلطان المولى أبي عبد الله محمد السعدي ، قدم وفد من سراتهم وعلمائهم إلى بلاطه طالبين مساعدته ، فوافق على ذلك بشرط أن يقوموا بالثورة ضد الإسبان ، ليضمن مساعدتهم له عند دخوله في حرب معهم ، لكنه لم يلتزم بعهده (مؤلف مجهول ، بدون تاريخ : ورقة ١٥)، وقام الملك فيليب الثالث[٦] سنة ١٠١٨ هـ / ١٦٠٩ م بطردهم، وظلت القرارات تصدر تباعا حتى سنة ١٠٢٠ هـ / ١٦١١ م لما تم طردهم نهائيا من هذه البلاد ، ولم يعد لهم أي ذكر ، ومن بقي منهم تنصر وذابت ملامح شخصيته في المجتمع الإسباني الذي اندمج فيه وهو مكره .

ألبسة المسلمين إبان سقوط غرناطة وتأثيرها في الزي المغربي

من النادر ان نعثر على دراسة متعمقة للأزياء الإسلامية الموريسكية ، بسبب الصعوبات التي تعترض الباحث في هذا المجال ، فقد لا نجد لها إلا ذكرا موجزا في النصوص الشعرية أو الأدبية العربية المتضمنة لعدد من المصطلحات التي لها صلة بهذا الموضوع ، وقد قام عدد من الباحثين المستشرقين بالتعرض لموضوع الألبسة الإسلامية في الأندلس ، وقد قام عدد من الباحثين المستشرقين بالتعرض لموضوع الألبسة الإسلامية في الأندلس ، أمثال جورج مارسيه G.Marsaia عند حديثه عنها إبان عصر الولاة ، وليفي ـ بروفنسال Levi -Provenssal في حديثه إبان العصر الأموي ، وقد امتازت كتابات الأخير بشيء من الدقة والتفصيل . (Rachel, 1965:101) . .

كما قامت راشيل Rachel بكتابة مقال تحدثت فيه عن الملابس الإسلامية أيام الدولة النصيرية مستعينة بالمصادر العربية وبشيء من الوثائق المصورة سواء أكانت صورا عربية أم مسيحية ، قامت بجمعها أثناء قيامها بدراسة حول هذا الموضوع في إسبانيا .

واستنتجت من بحثها أن الأزياء الإسلامية في ظل دولة بني الأحمر ، كانت مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالظروف السياسية ، حيث ظهر التأثير المسيحي في الملابس الإسلامية . (المقري ، ١٩٦٨، ج ١ : ٢٢٢ ـ ٢٢٣) . فالمقري يرى أن بني الأحمر ، سلاطين غرناطة ، أصبحوا هم وأجنادهم يتزينون بزي النصارى المجاورين لهم ، فسلاحهم كسلاحهم ، وأقبيتهم من الاشكراط[٧] وغيره كاقبيتهم ، وكذلك أعلامهم وسروجهم .

وتأثر أهل غرناطة بالأزياء المغربية والافريقية ، إذ اكتسحت الألبسة الكتانية التونسية الأسواق المغربية وأسواق غرناطة ، فكان الغرناطيون يلبسونها ، حيث كان سكان مدينة تونس من أمهر الحاكة ، ونساؤهم من أمهر الغازلات ، وكنّ يغزلن غزلا في غاية الدقة والنعومة . وقد نالت الأقمشة التونسية شهرة لدى شعراء إسبانيا المسيحية ، وخاصة في أشعار الموريسكيين ، حيث كانوا يتباهون بلبس الطاقية الخضراء الغامقة مع العمامة ذات النسيج التونسي (رينهارت، ١٩٢٧، مج ٩ : ٤٤)، لكن الزي المسيحي عاد وأثر من جديد في الزي الإسلامي ، غير أن القلة الإسلامية التي بقيت بغرناطة ، إبان سقوطها في يد فرديناند وايزابيلا Ferdinad et Izabila ، في الثامن من شهر ربيع الثاني سنة ثمانمائة وثمان وتسعين هجرية ، الموافق للثاني من شهر كانون الثاني لعام ألف وأربعمائة واثنين وتسعين ميلادية بقيت على لباسها . وأصبح هذا اللباس المظهر المميز لوجودها ، إلى ان طردت نهائيا من غرناطة . وترى راشيل أن ما ورد في مقالتها يعتبر أفكاراً أولية تنير الطريق لمن يود البحث في هذا المجال (Rachel, 1965:104) .

وترى أن منهجيتها بالبحث دون منهجية رولاند بارث Roland-Barthes ، الذي أشارت إلى مقال له نشر في حوليات Annales ، حيث أشار إلى الدراسة التاريخية للألبسة الإسلامية باسبانيا من ناحيتها الوظيفية . وقد نشر المقال منذ ثلاثين سنة خلت .

وأجمع الباحثون من أمثال الدون (لويس سيكو Luis Seco) و(هونرباخ Hoenerbach) من خلال اطلاعهما على الوثائق العدلية التي تشكل مصدراً مهماً من مصادر المعرفة للحياة الاجتماعية والاقتصادية لمسلمي الأندلس في القرنين الخامس والسادس عشر للميلاد ، أجمعوا على الإصرار والتمسك الذي تميز به هؤلاء ، واعتمدت راشيل Rechel على لوحة فنية محفورة على خشبة المذبح الملكي في كاتدرائية غرناطة تمثل الملك الكاثوليكي (فيليب)[٨] وهو يستلم مفاتيح مدينة غرناطة من حاكمها ، ومن حوله أعيانها[٩] .

ومن خلال الصورة نرى أن الملك أبا عبد الله ورجاله[١٠] قد ارتدوا أردية طويلة واسعة تصل إلى ما تحت الركبة تسمى (درعة)[١١] وهذا اللباس ارتداه سكان مدينة الجزائر وما زال مستعملاً للآن ، حيث يلبس في فصل الربيع والصيف ، وبسبب قصر أكمامه تظهر منه أكمام القميص الذي تحته .

أما فيما يتعلق بالعمائم ، فكان أمير غرناطة ورجال قصره ، ومعهم مشايخ المدينة ، يلّفون قماشا على شكل حبل حلزوني[١٢] ، ليكوّن في النهاية تاجا ، يعلو الجبهة الأمامية ، ويتدلى على العنق والأذنين ، ويمر تحت الذقن ، وينتشر على الكتفين ، كما تغطي قطعة طويلة منه ـ ذات أهداب ـ أحد الذراعين إلى المرفقين . ويسمى هذا القماش عند أهل غرب الأندلس بالملف[١٣] ، بينما ترك أهل شرق الأندلس في هذا العصر العمائم على مختلف طبقاتهم ، فكانوا حاسري الرؤوس (المقري ، ١٩٦٨ ، ج١ : ٢٢٢) . ولعل سبب ذلك يعود إلى تمدينهم على الطريقة الإسبانية ، وتأثرهم بها أكثر من غيرهم من الأندلسيين .

أما أهل فاس فكانوا يتقلنسون بقلنسوة لا تغطي الأذنين ، ويلفونها بعمامة من قماش تطوى مرتين حول الرأس بحيث تمر من تحت الذقن .

ومنذ سقوط حكم بني نصر . وتسليم غرناطة للإسبان ، غادر البعض من صفوة أبناء مجتمع غرناطة في سبتمبر ايلول ٨٩٨ هـ / ١٤٩٢ م الأندلس قاصدين المغرب الكبير . وكان ممن شجع على هذا الرحيل الفقيه الونشريسي ، الذي أفتى بعدم بقاء المسلمين في أرض الأندلس ، لأنها أرض كفر بسبب غياب سلطة الإسلام عنها (الونشريسي ، ١٩٥٧ : ١٤٦ ـ ١٤٩) .

أما جمهرة المسلمين ، فبالرغم من أن رحيل السراة أدّى إلى حدوث إحباط في نفوسهم ، إلا أنهم بقوا بأوطانهم ظناً منهم بأن الاتفاقية الموقعة في أواخر عام ٨٩٧ هـ / ١٤٩١ م في معسكر (فحص غرناطة) بغرناطة Lavega de Graneda ، والتي نصّت على حريّة ممارسة العبادة ، وعدم وضع إشارة مميزة لهم على ملابسهم (المقري ، ١٩٦٨ ، ج ٢ : ٧٥٢)، (ابن عبد الله ، ١٩٦٢ ، ج٢ : ٤١) على غرار إخوانهم الموجودين بمدينة قشتالة أواخر القرن الخامس عشر تعبيرا منهم على الإصرار والتمسك بالعادات والتقاليد الإسلامية ، لكن الإسبان لم يرضهم هذا فنقضوا عهدهم معهم ، وأجبروهم على وضع إشارة زرقاء على قلانسهم تمييزا لهم عن العناصر المسيحية ، تلك الاشارة التي أصبحت مع القلنسوة والعمامة المغربية لباس الطبقة الارستقراطية (ابن عبد الله ، ١٩٦٢ ، ج٢ : ٤١) . بالمغرب تعبيرا منهم عن الاعتزاز بإخوانهم والاقتداء بهم .

وأشار الرحالة الألماني جيرنيمو منتسر Jironime Muzer الذي زار إسبانيا بعد سقوط غرناطة بعامين ٩٠٠ هـ / ١٤٩٤ م ، إلى ما لاحظه من الإصرار على التمسك بالعادات والتقاليد العربية الإسلامية ، وبخاصة في القرى الجبلية التي مرَّ بها ، مشيرا إلى أن المشايخ منهم يلبسون ملحفة بيضاء ورؤوسهم مغطاة[١٤] بمنديل أبيض لعلّه الشاش[١٥] .

ولباس الرجال خالٍ من السراويل ، إلا بعض الغرباء القادمين إلى هذه الديار ، فيلبسون سراويل حتى الركب ، مثبتة بعقد من الخلف ، لكي يسهل فكها عند الوضوء والصلاة (Rachel, 1965:106-107) .

أما النساء فكن يرتدين سراويل فضفافة مصنوعة من الكتان ، ذات ثنايا من الصوف أو الحرير حسب الامكانيات المادية ، وعندما يخرجن يكن مغطيات بقماش شديد البياض مصنوع من القطن أو الصوف[١٦] أو الحرير ، ويغطين الوجه والرأس بحيث لا ترى إلا العيون . وهذا الغطاء يشبه الغطاء المستعمل عند نساء الجزائر ، والمسمى الحايك[١٧] (Alhuque) ، وهو فضفاض طويل ، مصنوع من الصوف الناعم أو الحرير ، ولونه أبيض ، ويمتاز بنظافته ورائحته الطيبة[١٨] ، والنساء يلتففن بهذه الأزر ـ كما تسّمى عند البعض ـ ويعلقن أحد أطرافها على الصدر بواسطة بعض (الأبازيم) والدبابيس المصنوعة من معدن الذهب أو الفضة ، والواحدة منهن تطرح طرف الإزار على الأكتاف والرأس ، والطرف الثاني السفلي تستر به ذراعها الأيمن ، ثم تجمع ما تبقى من الطرف العلوي بيدها الأخرى ، وتلف نفسها بحيث تخفي به ، ولا يستطيع معرفتها أحد ، وهي سائرة في الطرقات ، لأنه لا تظهر منها الا الحدقتان ، والوجه مغطّى بخمار أبيض مصنوع من الكتان والقطن أو الحرير ، حسب مكانتها الإجتماعية ، ولعله متأثر بالخمار الشامي ، الذي انتقل إلى الأندلس عن طريق القبائل العربية الشامية أيام الفتوحات الأولى ، ثم نقله الأندلسيون برحليهم إلى المغرب[١٩] .

وخرجت النساء الموريسكيات حاسرات ، وتفنن باختيار أدوات الزينة ، وانتقاء الألبسة ، ولبس الحلّي بمختلف أنواعها لدرجة لافتة للنظر ، مما انعكس أثره على نساء المغرب اللواتي أصبحن لا يغطين رؤوسهن ، ويرسلن شعورهن كالغرناطيات والاشبيليات اللائي كن يعقصنه ، ويضعن في شعورهن أمشاطا مرصعة بالأحجار الكريمة أو بالدر، أو بالأقراط الذهبية المرصعة بالأحجار الكريمة الرائعة ، والتي تعرف باسم (المفتال) . ويزّين سواعدهن بأساور من ذهب تسمى (النبال) تزن الواحدة قرابة ثلاثمائة غرام ، أما أساورهن وخلاخيلهن فكانت من الفضة .

ولبس الرجال الموريسكيون العمائم ذات الأشكال المختلفة ، منها ما يغطي الرأس ، ومنها ما هو مستدير ، ومنها ما هو مخروطي ، وهذا الشكل انتشر في أواسط القرن الخامس عشر للميلاد ، ولكن وجد من كان منهم حاسر الرأس .

والملاحظ أن الإسبان لم يحترموا المعاهدات المبرمة مع الموريسكيين ، فقد قام الكاردينال سينيروس Cianeros بنقض المعاهدة السالفة الذكر ، وعمد إلى تنصيرهم منذ سنة ٩٠٥ هـ / ١٤٩٩م ، فأدى ذلك إلى قيام ثورتهم التي اندلعت بفحص غرناطة ، ثم امتدت إلى جبال البشرات Alpujarras ، وإلى جبال رنده Serranis de Ronda ، حيث يقطن معظم المسلمين . ولم يتمكن الإسبان من إخمادها إلا سنة ٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م ، إلى أن صدر مرسوم ملكي يخيّر المسلمين بين الخروج من إسبانيا أو اعتناق المسيحية ، فاضطر عدد منهم إلى التظاهر بالمسيحية خوفا من العقاب ، وحرصا على البقاء[٢٠] . ولعل سياسة الاستيعاب التي فرضها الملوك الكاثوليكيون عند التوقيع على المرسوم الصادر في سنة ٩٠٧ هـ / ١٥٠١م ، لم يكن لها نتيجة في غرناطة ، فالموريسكيون كانوا يمارسون عبادتهم سرا ، ودليل ذلك ما كتبه محمد بن عبد الرفيع الأندلسي المتوفي سنة ١٠٦٢ هـ / ١٦٥٢م ، الذي عاش في جيان قبل النفي الأكبر سنة ١٠١٨ هـ /١٦٠٩ م ، والذي هاجر إلى تونس ، وكتب رسالة دافع بها عن أبناء وطنه حيث يقول : «لقد أطلعني الله تعالى على دين الإسلام

بواسطة والدي رحمه الله وأنا ابن ستة أعوام وأقل ، مع أنني كنت إذ ذاك أروح إلى مكتب النصارى لأقرأ دينهم ، ثم أرجع إلى بيتي فيعلمني والدي دين الإسلام . . الخ»[٢١] .

نلمس من ذلك محافظتهم الشديدة على عقيدتهم وعادات أجدادهم بحماس وغيرة وبخاصة ممن كان يقطن المناطق الجبلية المعزولة ، مثل منطقة البشرات Alpujarras أما السكان الذين وجدوا في غرناطة Granada بعد سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م ، فقد تمسكوا بملابسهم التقليدية باعتبارها تراثا مجيدا . مما دفع الملكية الإسبانية أن تتصرف بشدة وقسوة بقصد تغييرها ، لكنها لم تفلح ، فقامت الأميرة دونيا جوانا Doniojouana سنة ٩١٤ هـ / ١٥١٨ م ، بإصدار مرسوم يعطي المسلمين مهلة مقدارها ست سنوات[٢٢] للتخلي عن لباسهم ، ولما لم يحدث شيء من هذا ، جددت المهلة إلى عشر سنوات ، ثم علّق كارل الخامس[٢٣] المرسوم إلى أجل غير محدد ، بناء على التماس قدم إليه من الموريسكيين . وفي سنة ٩٣٣ هـ / ١٥٢٦ م ، أصدرت أوامر جديدة بمنع استخدام أدوات الزينة التي لها صلة بالتراث ، فقد حُذر على النساء الموريسيكيات أن يضعن في أعناقهن ما يدل على الماضي والانتماء اليه ، لدرجة أنهن منعن من حمل الأطباق بأيديهن وعليها حروف عربية ، كما منعن من تخضيب الأيدي بالحناء في المناسبات السعيدة .

أما الرجال ، فقد حرّم عليهم لباس البياض يوم الجمعة حتى الملابس النظيفة ، كما حرّم عليهم ختن الأولاد ، وتسميتهم بأسماء عربية ، كما منعوا من الصيام في شهر رمضان ، وأجبروا على شرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير ، وعدم دخول الحمامات ، ولبس ملابس تتفق مع الملابس التي يلبسها النصارى الإسبان ، وإقامة معاهد في غرناطة ووادي آش والمرية وبخاصة لتعليم أبناء الموريسكيين وتلقينهم الإيمان الكاثوليكي ، خشية أن ينشأوا ويترعرعوا متأثرين بالعقيدة الإسلامية ، لمجاورتهم للأقارب ولأنهم ما زالوا يمارسون شعائر الدين الإسلامي سرّاً . (حومد ، ١٩٨٠ : ١٧٦ - ١٧٧)، (مظهر، ١٩٤٧)، (عنان، ١٩٤٩ : ٢٥٢) ، (Marmol, 1946: 11) .

وفي هذا الصدد ، فإن سفير البندقية (نافاخيرو) Navajero الذي كان موجودا في إسبانيا سنة ٩٣١ هـ / ١٥٢٤ م قبل صدور هذا المرسوم بسنتين يقول : «إن الموريسكيين هم موريون ينتمون كما كانوا إلى عرق المور ، مسلمون متمسكون بعقيدتهم . (Rachel, 1965:108-110) .

ولاحظ - أيضا - أنهم يشكلون معظم السوقة في غرناطة ، بينما العائلات الارستقراطية والصناع كانوا يتخذون من المدينة مسكنا لهم .

ويبدو أن الأوامر لم تفعل فعلها ، لأن السفير أشار إلى الملابس الموريسكية بقوله : «جميع النساء يلبسن ملابس عربية على الطريقة الموريسكية ، فالقمصان تصل إلى ما تحت السرة ، وتليها السراويل المصنوعة من القماش بحيث يدخل القميص بالسراول قليلا» .

أما الجوارب ، فهي مصنوعة من الكتان والقماش ، وكلها طيات بشكل تجعل السيقان غليظة

جدا . وعند الخروج يلبسن في العادة كساء قصيراً مطرزاً بالحرير ، وفوقه قماش أبيض يسمى الحايك ، ويضعن حول العنق قطعة ذهبية من الذهب الخاص تسمى بـ (اليونانية) (Rachel, 1965: 110) . وبالجملة ، لم يكن هناك فرق في اللباس بين المرأة من طبقة الذوات ، والمرأة من الطبقة العامة ، لأن شكل اللباس لا يتبدل ، وكل النسوة يصبغن أظافرهن بكحول مائلة للحمرة ، ولعل هذا ناتج عن تأثير إسباني أثر في المرأة الأندلسية منذ زمن مبكر ، فيقال إن ولّادة بنت المستكفي التي تشبّب بها الشاعر ابن زيدون ، نقشت على الطراز الأيمن من عصابتها البيتين التاليين :

أنا والله أصلح للمعالي وأمشي مشيتي وأتيه تيها
أمكّن عاشقي من صحن خدّي وأعطي قبلتي من يشتهيها

وهذا التأثير ، انتقل بدوره إلى المرأة المغربية عند اختلاطها بالمرأة العربية الأندلسية التي رحلت للمغرب ، فلبست القبعة ، وخرجت مكشوفة الصدر ، مع مسح الخدود بشيء من المساحيق . (بيهم ، ١٩٦٢ : ٤٣) وقد ألف الصائغ (لكرستوف فايدتس) Weiditz من مدينة أوغسبورغ Augsburg كتابا سّماه (الأزياء) ، تحدث فيه عن أزياء الموريسكيين من خلال مشاهداته أثناء تجواله في إسبانيا سنة ٩٣٦ هـ / ١٥٢٩م ، وفي الأراضي المنخفضة سنة ٩٣٨ ـ ٩٣٩ هـ / ١٥٣١ ـ ١٥٣٢م ، وهي معلومات قيمة ناتجة عن مشاهداته ومعايشته للمجتمع الإسباني آنذاك ، إلا أن كتابه لم يتضمن ذكرا ، لموريسكي «أراغوان» Aragon ، وأسهب في الحديث عن موريسكي غرناطة ونسائهم ، اللواتي كن يتعصبن بعصائب ملونة ، مصنوعة من القطن أو الصوف ، وهي نفس العصائب المستخدمة من قبل الإسبانيات اللواتي كن في بلاط الفونسو الحكيم la coste de Alfonsoel sabio منذ ثلاثة قرون خلت .

ولبست الموريسكية منديلا على الرأس مخططاً بخطوط حمراء ، وخضراء ، وذهبية ، وتحلين في الأذنين بأقراط على شكل دوائر . وتبدو الجبهة مغطاة بتاج شنشل[٢٤] Chunchel ، والصدر مزدان بعقد من الذهب وفي المعصم أساور من ذهب تلبسها النساء الموسرات ، أما الأقل يسرا فيلبسنها من الفضة . وينطبق هذا الحال على سكان «ايداوكال» الواقعة في الريف المغربي ، حيث تضع نساء الوجهاء والأغنياء في الأعناق أطواقا من الفضة . (ابن الوزان ، ١٣٩٩ هـ : ١٢١) .

أما المغرب الأوسط والجزائر فيذكر هيدو Hedou ، أن المرأة الجزائرية تضع على رأسها الجنبل Janbal ، وهو عبارة عن ثلاث زينات ، الزينة الثانية منها هي عصابة موريسكية Iran Gads-Morisco مصنوعة من نسيج الحرير الدقيق والمسترسل ، وهذه الزينات الثلاث هي المسماة (بالجنبل)[٢٥] وهي كلمة تركية الأصل .

ومجمل القول ، كانت الملابس الموريسكية متنوعة بصورة غريبة ، منذ تعميد الموريين المسلمين . فقد حل الصدار ، والمعطف ذو الأكمام بدون أزرار ، زمن كارل الخامس محل العناصر التقليدية في اللباس الإسلامي .

وعلى الرغم من ذلك فقد أصدر فليب الثاني مرسوما في[٢٦] ٩٧٤ هـ /٧ - ١١ - ١٥٦٦ م حظر فيه على الموريسكيين ، التكلم باللغة العربية ، وعدم لباس اللباس الإسلامي ، وترك العادات الإسلامية ، بقصد تغيير أنماطهم الاجتماعية ، بجعلهم يلبسون على الطريقة القشتالية . وهنا يقف الموريسكي فرانسيس نونيت مولاي Francisco Nunez Muley مدافعاً عن ذلك وعن ملابس النساء بخاصة ، فيبين بأن لباس نسائهم لم يكن من لباس (المورالمسلمين)، وإنما هو لباس محلّي ، شأنه في ذلك شأن اللباس في قشتالة ، كما أن الناس يختلفون بألبستهم باختلاف المقاطعات ، فلباس الرأس والفساتين والأحذية ليس واحدا ، وأن اللباس في زمنه قد تغير عما كان عليه من قبل[٢٧] .

ويبرز (مولاي) ما عليه الموريسكيون من فقر ، حيث أصبحوا يلبسون الملابس القطنية المصبوغة والرخيصة ، وأصبحت النساء تتمشى (بدوكانا واحدة) Ducana دون سواها . ويتركن ملابس الأعراس والأفراح للمناسبات يتوارثنها جيلا عن جيل لمدة من الزمن (Rachel, 1965:111-112) .

ويرى أن تغيير اللباس يؤدي إلى خسارة ثلاثة ملايين من الدنانير الذهبية ، علاوة على قطع أرزاق الكثيرين من أصحاب المهن ، كالتجار والصناع وغيرهم من العمال الذين يعيشون من هذا العمل . كما أن مائتي ألف امرأة في المملكة مضطرات إلى تغيير الحلى أو صهرها ، ناهيك عن الأسر الفقيرة التي ليس باستطاعتها شراء فساتين ومعاطف وأقبية وأحذية ، وهي التي تعودت أن تكتفي بسراويل وأغطية طويلة مصبوغة ، ماذا ستعمل هذه الأسر أمام هذا الإجراء ؟ ماذا ستلبس؟ من أين لها بالدراهم ؟ كل هذا وغيره دعا الموريسكيين إلى المطالبة بتعديل المرسوم الصادر في سنة ٩٦٥ هـ / ١-١-١٥٥٧م ، وفتح باب المفاوضات بين الطرفين ، التي انتهت بالفشل بعد أن دامت عاما ، وكان فشلها سببا في انتفاضهم في حي البيازين Albaicin وهو حي من أحياء غرناطة ، وذلك سنة ٩٧٦هـ / ١٥٦٨ م ، وامتدت إلى جبال البشرات (Alpujarras) ، وفشلت القوات الملكية الإسبانية في القضاء عليها ، وظلت مشتعلة طيلة ثلاث سنوات ، وأثناء فترة الحرب عاد ظهور اللباس الإسلامي من جديد ، وقد نقل إلينا المؤرخون النصارى صورا منها . والملاحظ أن هذه الألبسة بقيت أكثر من غيرها عند سكان الجبال بسبب صعوبة مسالكها ، وتعذر وصول العسكريين إليها .

وعند اندلاع الثورة ، نادى الثوار بالموريسكي هرنان القرطبي Heran decordaba ملكا تحت اسم (ابن أمية)[٢٨] وألبسوه اللون الأحمر ، الذي كان اللون المميز لبني الأحمر ، وجعلوه يمتطي حصانا ذا لون ابيض ، وجبّة ورداء كبيرا، وعمامة تركية . ولعل لبس العمامة كان يرمز إلى الصلة المشتركة ما بين الثوار والأتراك ، لأنه وجد من بين الثوار مجاهدون من الترك خاضوا الحرب إلى جانبهم ضد الإسبان . وتأثر أهل مراكش بالمغرب ببعض الألبسة التركية ، إذ لبسوا فوق القمصان قفاطين ذات أكمام قصيرة وطويلة ، وأحيانا مبتورة تشبه الفرجيات (ابن عبد الله ، ١٩٧٢ ، مج ٩ : ٣٤ - ٣٦) . Feredgas التركيات . وهناك دليل آخر على الصلة بالأتراك ، أثناء ثورة ابن الفراج[٢٩] Ibn Faraj وأتباعه الذين تركوا القبّعات ، ولبسوا الطرابيش الملّونة على الطريقة التركية وعليها قطعة من القماش الأبيض ليظهروا كالأتراك .

ومنذ قمع حركة الموريسكيين الغرناطيين سنة ٩٧٨ هـ / ١٥٧٠م ، فإن المعلومات عن اللباس الإسلامي أصبحت نادرة بسبب تمزقهم وتشتتهم .

والملاحظ أن ما بين سنة ٩٨٨ ـ ٩٩٨ هـ ـ ٥٨٠ ـ ١٥٨٩م ، بقيت بعض الأقليات الموريسكية في المدن التالية : غرناطة Granada ، وادي الحجارة Guadalajara ، باسترانا Pastrana ، طليطلة Toledo ، أشبيلية ، Achbelya ، أقبلا Aqbala ، شلمنقه Salamanca ، اشتوريس Asturias .

ومن خلال دراستنا للسجلات الإسبانية والوثائق الأدبية العربية ، استطعنا الإلمام بمقدار ممتلكاتهم ، ونوعية ألبستهم ، وعلاقاتهم الاجتماعية ، وأحوالهم المعيشية المتذبذبة بين الرخاء والفقر .

ومجمل القول ، فقد كان الموريسكيون ينقسمون إلى فئتين من حيث الثراء والفقر ، فالطبقة الموسرة من الرجال ، كانت تلبس الملابس الحريرية والسلاسل الذهبية الكبيرة ، أما الطبقة العامة من الرجال وهي الأغلبية ، فكانوا يلبسون الملابس القصيرة الرخيصة المصنوعة من الكتان .

أما النساء ، فكان لباسهن القمصان وفوقها فساتين باهتة صفراء ، كنّ يلبسنها قبل طردهم الجماعي من وشقه Huesca وبيدرو Pedro ، ازنار Aznar ، قرطبة Cordoba ، طولقة Teologo وغيرها من المدن والقرى سنة ١٠٢١ هـ / ١٦١٢ م (Rachel, 1965:113-114) .

أما النعال ، فقد لبسها الموريسكيون ، وهي عبارة عن جزمات عالية مصنوعة من الجلد تسمى الأخفاف[٣٠] ، تشبه جزمات المقاتلين الغرناطيين أيام بني الأحمر ، شأنهم في ذلك شأن المقاتلين من رجال البحرية ورؤسائهم من أهل المغرب العربي .

أما المدنيون وبخاصة الأعيان ، فقد لبسوا بأرجلهم أحذية تسمى عند أهل فاس (بالمواق) ، وهو عبارة عن خف غليظ يلبس فوق خف أدق منه[٣١] .

ولبست المرأة الموريسكية الغرناطية ، حفاية أنيقة مصنوعة من الجلد الممتاز ، ذات نعل رقيق يسمى الشربيل أو الصربيل كما يلفظه البعض ، وعن هذا النوع من الأحذية يحدثنا هوست (Houst) في كتابه «أخبار مراكش» ص ١١٧ بأن جميع سكان مراكش يلبسون أحذية مصنوعة من الجلد المراكشي يدعى (Scherbil) [٣٢] شربيل ، لا كعوب له ، وعادة ما يلبس الرجال الأحذية الصفراء ، وتلبس النساء الأحذية الحمراء ، وهذا النوع من الأحذية ما زال مستعملاً في الديار المغربية ويسمى بـ (البلغة) (Rachel, 1965:112) ، وهو على ألوان متعددة ، ويبدو أنه وجد حذاء يشبهه من حيث شكله ، ولكنه يختلف عنه من حيث مادة صنعه ، وهذا الحذاء مصنوع من مادة الليف والحلفاء ، لبسه الموسيقيون الموريسكيون ، كما لبسه العامة من أهل مراكش أيام نزوح الأندلسيين للمغرب .

واستخدم الموريسكيون حذاء الشارع (حذاء العمل) المسمى بالكرك ، وهوذونعل سميك مصنوع من مادة الفلّين ، وقد استخدمه المسلمون الأندلسيون رجالاً ونساءً منذ أمد بعيد ، وعلى وجه التحديد في القرنين الثاني والثالث عشر للميلاد ، وتبنته إسبانيا النصرانية بعد[٣٣] إجراء التعديلات عليه ، بحيث أصبح النعل يصنع من المادة نفسها ولكنه أكثر صلابة ومتانة . والملاحظ أن التأثير ما بين الإسبان والمسلمين الأندلسيين والمغاربة لم ينقطع ، فقد كان لرحيل الأندلسيين بمن فيهم المهرة والحرفيون إلى البلاد المغربية دور كبير في إنماء هذه الصناعة وغيرها من الصناعات الأخرى ، فقد مهر أهل مراكش ـ بفضلهم ـ في صناعة الحذاء القرطوني الذي أصبح له رواج شديد في إيطاليا ، والمسّمى بالمراكشي (ابن الوزان ، ١٣٩٩ هـ : ١٢٨).

أما سبب تسميته بالقرطوني ، فيرجع إلى مكان صنعه الأول في قرطبة ، حيث اشتهرت هذه الحاضرة بصناعة الجلود والأحذية، وكانت تسمى (بكوردوبا) (ابن الوزان ، ١٣٩٩ هـ : ١٢٨) ، واسم صانع الأحذية بالفرنسية (كوروذنييه) ، ومنها كلمتا (قندرة ، وقندرجي) العاميتان في بلاد الشام ، وكلمة (كنترة) وصانعها كنترجي المستخدمة عند العامة في مصر ، عرفت ذلك أثناء وجودي فيها ، و(الكنترة) هذه عبارة عن حذاء بدون رباط ، والملاحظ أن كلمة كوردونييه ما زالت متداولة على الألسن بالجزائر بسبب تأثرهم باللغة الفرنسية أيام الاستعمار الفرنسي لهم[٣٤] ، وانتعلت المرأة الموريسكية والفاسية فيما بعد ، القبقاب Qabqab المصنوع من الخشب الأصفر حيث كثر استخدامه في البيوت والحمامات .

واختصت مدينة فاس وأهلها بصنعه ولبسه أكثر من الحواضر المغربية وسكانها ، حيث كانت تصنع القباقيب المتميزة بنعلها الحديدي وسيرها الجلدي المطرز بالحرير ، ويتم تصنيعها من خشب التوت الأسود أو الأبيض ، وقد يصنع بعضها من خشب الجوز أو من شجر البرتقال أو العناب ، والقباقيب المصنوعة من النوعين الآخرين أكثر جمالا وأناقة ولكن قبقاب التوت يدوم أكثر (ابن الوزان ، ١٣٩٩ هـ : ٢٤٨) .

ولبست الطبقة الموسرة من الموريسكيين الحفايات المذهبة والمتقنة الصنع ، كما لبست حذاء شبيها بها يسمى (تاسومة)[٣٥] وهي اللفظة المرادفة لكلمة Sandale صندل .

وبقي الموريسكيون راضين بعيشهم المهين إلى أن ابتلوا بالتهجير الجماعي ، غنيهم وفقيرهم ، وتفرقوا في مختلف البقاع الإسلامية ، فهاجر قسم كبير منهم إلى الأقطار الإسلامية الواقعة على حوض البحر المتوسط ، وبخاصة المغرب العربي لقربه من ديارهم ، ملتحقين بالموجات الأولى السابقة لهم ، وقد حملوا معهم عاداتهم وفنونهم التي تركت آثارا عميقة في أرجاء المغرب كله ، وقد لاحظ الرحالة الذين زاروا المغرب إبّان القرن السادس عشر للميلاد ، وشاهدوهم في البلاد المغربية ، تماثل اللباس بين نسوة فاس وبين نسوتهم ، كما أثروا بألبستهم وبأدوات الزينة عندهم على سكان مدينة تونس ، والجزائر ، وقسنطينة ، والبليدة ، وتلمسان ، وشرشال ، ومراكش ، تطوان ، إضافة إلى مدينة فاس . وظهر تأثيرهم في العمران والزراعة ، فبنوا الدور والقصور الخاصة بهم ، وأحيوا أرض الموات ، وتوسعوا في

نظام الري وغيره من الوسائل الزراعية . وباندماجهم بالمدن والقرى التي حلوا فيها في البلدان العربية والإسلامية وغيرها من البلدان الأخرى انتهى وجودهم ولم يبق لهم ذكر الا في السجلات التاريخية ، فقد تم اندماجهم مع الشعوب الإسلامية التي عاشوا معها .

ونجد من المناسب أن نذيل هذا البحث بصور تمثل بعض الموريسكيين من نساء ورجال في لباسهم الخاص بهم وهم يزاولون بعض الأعمال .

سيدة موريسكية — الرقص الموريسكي

أخذت من كتاب

Rachel-Arie

Acerca del traje musulman En Espanades del La caide de Granada hista La expulsion de Los Moriscos, Revista delinsituto de Estudios- Islamicos, 13, 1965

بعد سقوط غرناطة ، أجبر من بقي من المسلمين فيها على اعتناق النصرانية ويرمز هذا المشهد إلى مجموعة من النساء يقفن في صفوف منتظمة ، ينتظرن التعميد الاجباري ، وقد بدت على محياهن آثار المحنة الرهيبة .

أخذت عن الصور الموجودة في المصلى الملكي Capilla Real بغرناطة راجع ، حتاملة ـ محمد عبده ، التهجير القسري لمسلمي الأندلس ، في عهد الملك فيليب الثاني سنة ١٥٢٧ ـ ١٥٩٨ م . ط (١) ١٤٠٣ هـ ـ ١٩٨٢ م عمان ـ الأردن .

الملابس البيتية للفتيات الموريسكيات

شكل رقم (١)

expulsion de los moriscos, Revista de insitutode Estudios. Islamic. 13.1965.

ملابس التنزه للنساء الموريسكيات

شكل رقم (٢)

اخذت من كتاب

Rachel-Arie

Acerca del traje musulman En Espanades del La caida de Granada hista La

موريسكي يحمل خبزاً

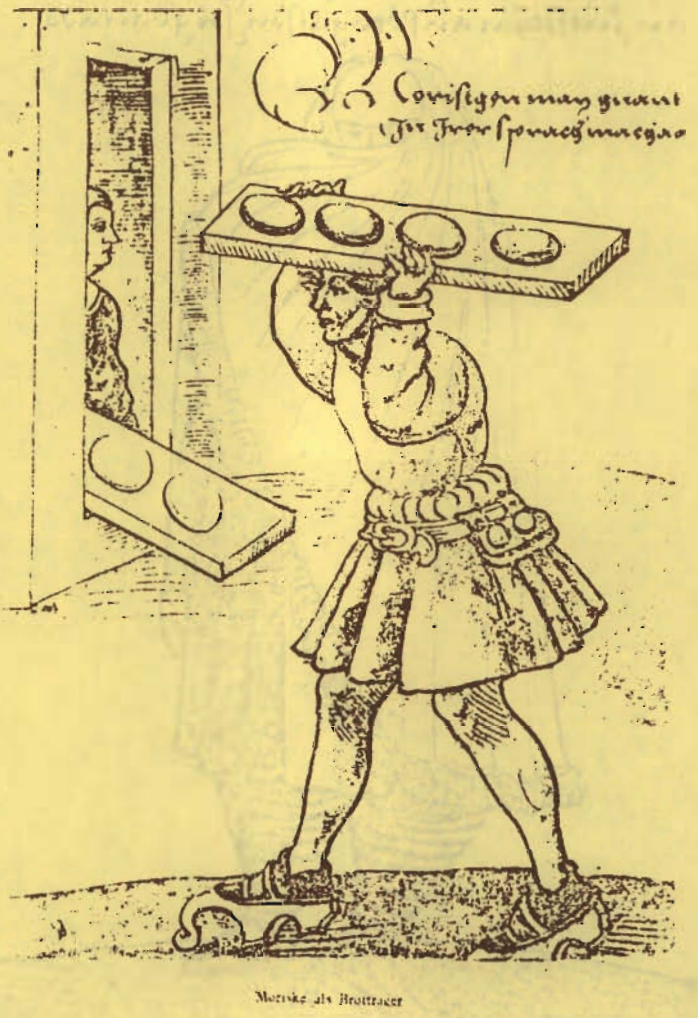

شكل رقم (٣)

expulsion de los Moriscos, Revista de instituto de Estudios. Islamicos, 13. 1965.

امرأة موريسكية تنظف بيتها

Wie die Morisken-Frauen ihr Haus kehren

شكل رقم (٤)

اخذت من كتاب

Rachel-Arie

Acerca del traje Musulman En Esponade de La caide de Granada hista La

الهوامش

١ ـ أطلق هذا اللفظ في أول الأمر في القرن السادس عشر ، أثناء الصراع الأخير بين الممالك النصرانية ومملكة غرناطة للدلالة على من كان يدخل في طاعة ملوك النصرانية من أهل نواحي مملكة غرناطة ، ثم أطلق على مسلمي غرناطة عندما سقطت في أيدي ملكيْ قشتالة وليون ، ثم حل محل لفظ (مودبخار) خلال القرن السادس عشر في الدلالة على من بقي من العرب في الأندلس سواء منهم من بقي على دينه أومن تنصر ، وسواء أكان (معاهداً أم حراً) وخاضعا للسلطان النصراني مباشرة .

٢ ـ نسبة إلى قبيلة مغراوة الزناتية أبناء ورتجين التي أتخذت من جبال الريف في شمال المغرب مقراً لها ، وقد هاجر أجداده إلى الأندلس واستقروا فيها ، وعندما سقطت رحل مع أبيه وهو صغير إلى مدينة تلمسان ، بالمغرب الأوسط ، وفيها نشأ . راجع : ابن منصور عبد الوهاب ، قبائل المغرب ، الرباط ، ١٩٦٦ ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ .

٣ ـ الونشريسي ، نسبة إلى جبل ونشريس الواقع ضمن سيادة الدولة الجزائرية في المغرب الجزائري ، وليس الونشرسي ، كما يلفظه بعض المؤرخين .

٤ ـ الحديث (يأتي على الناس زمان ، الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر) «حديث حسن» راجع ، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، جـ ٢ ، ص ٢٠٥ ، النووي ، أربعون حديثا ، الجزائر ، ط ٤ ، نوفمبر ١٩٥٤م .

٥ ـ تمكن خير الدين باشا من نقل سبعين ألفا من الموريسكيين ، خلال رحلاته البحرية التي بلغ عددها ستا وثلاثين رحلة ، ولذا نراهم يلحون في الطلب على السلطان سليمان في إعادة خير الدين إلى منصبه بالجزائر ، مذكرين أياه بما قام به هذا المجاهد من أعمال بطولية في خدمة الإسلام والمسلمين . راجع ،
Jeanpignon, une Geographie del, 45 Pagne morsique The etudes sur Les moriscos en tunisie, madrid, Tunis, 1913, P: 73

٦ ـ أصبح ولي عهد فيليب الثاني (١٥٩٨ ـ ١٦٢١م) .

٧ ـ الاشكراط ويقال الاشيكلاط (ecarlate) نوع من الجوخ قرمزي أحمر . راجع : المقري ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، ص ٢٢٣ ، حاشية رقم (١) .

٨ ـ يسمى في بعض المصادر بـ (فرناندو) ، وقد تمّ استلام المفاتيح في ربيع الثاني ٨٩٧ هـ قبل حلول عيد مولد الرسول الكريم بثمانية أيام ، الموافق لليوم الثاني من شهر كانون الثاني لعام ١٤٩٢م ، وقد أصبحت هذه المناسبة عيدا يحتفل به الإسبان في مدينة غرناطة ، راجع : حتاملة، محمد عبده ، محنة مسلمي الأندلس ، ط (١) عمان ، ١٩٧٧ م ، ص ٦٠ ـ ٦١ ، حومد ، أسعد ، محنة العرب في الاندلس ، بيروت، ط (١) ، سنة ١٩٧٠م ، ص ٩٧ .

٩ ـ كان من أبرز الأعيان ، وزيره يوسف بن كماشة الحضرمي ، وأبو القاسم عبد الملك الطيح محافظ غرناطة ، راجع : حتاملة، محنة مسلمي الأندلس ، ص ٥٥ ، أرسلان ، شكيب ، خلاصة تاريخ الأندلس ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

١٠ ـ هو ابن السلطان أبي علي ، المكنى ـ بالمصادر الإسبانية ـ بوعبديل Boabdil ، وبالملك الصغير Elreyechico . تولى العرش سنة ٨٨٧ هـ / ١٤٨٢م ، وفي زمنه سقطت غرناطة ، آخر معقل من معاقل المسلمين ، رحل إلى المغرب ، واستقر بفاس ، عند السلطان محمد الشيخ ، ابن ابي زكريا الوطاسي ، الذي دافع مع نجله في معركة وادي عقبة ضد السعديين سنة ٩٤٣ هـ / ١٥٣٦ م ، راجع : عنان ، محمد عبد الله ، نهاية الأندلس . وتاريخ العرب المتنصرين ، ط (١) القاهرة ، ١٩٤٩م ، ص ٢٠٥ ، ص ٢٠٧ ، حتاملة، محنة مسلمي الأندلس ، ص ٢٤ .

١١ ـ تسمى بالعامية الجزائرية بـ (القندورة) ويذكرها عبد العزيز بن عبد الله بضم الدال ، وراشيل بضم الدال والتشديد على الراء ، وابن الوزان الافريقي بضم الدال وإضافة الألف للراء (دراعة) Dorra راجع : اللسان العربي ، مجلد ٩ ، جـ ٢ ، ص ٤٠٣ ، Rachep:106 ، ابن الوزان، وصف افريقية ، الترجمة العربية ، ص ٣٣٦ .

١٢ ـ ما زالت هذه العادة معمولا بها في البلاد المغربية ، فقد شاهدتها أثناء وجودي في الجزائر، إذ يلف الرجل حول رأسه قطعة طويلة من القماش الأبيض ، المسمى بالشاشية ، على شكل حلزوني ، مع ترك منتصف رأسه مكشوفا ، وقد يلبس طاقية يلف حولها الشاش نفسه ، مع إرخاء أطرافه لتغطي الرقبة وجانبي الوجه .

١٣ ـ نوع من الجوخ ، كان أعيان فاس يلبسونه في الشتاء ، يضعونه فوق الجبّات المخيطة من الأمام ، وكان معروفا قبل هذا العصر ، إذ كان اللباس الشتوي بغرناطة أيام بني نصر ، المعاصرين لبني مرين ، راجع : ابن الخطيب ، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني ، اللمحة البدرية بالدولة النصرية ، بيروت ، ١٩٧٨م ، ص ٢٧ .

١٤ ـ ابتذل هذا اللفظ في مصر بالذات ليؤدي معنى آخر غير المعنى المتعارف عليه في النصوص القديمة ، عرفت ذلك أثناء إقامتي بمصر .

١٥ ـ عن كلمة الشاش راجع ، Dozy: Noms Des Vetements Arabes, P:235

١٦ ـ يشير مارمول في كتابه ، وصف افريقية ، جـ ٢ ، ص ١٠٣ ، مجلد (١) ، أن النساء في فاس ، لا سيما الإسبانيات الأصل (الموريسكيات)، يلبسن لدى خروجهن من بيوتهن ، سراويل فضفاضة مفرطة في الطول ، يطوينها طيات متعددة ليظهرن السيقان حسب أهوائهن Para Pra Porciana la Pierna las Marlotas ما دامت لا تصل إلى منتصف الساق ، للمزيد ، راجع : اللسان العربي ، مجلد ٩ ، جـ ٢ ، الرباط، ١٩٧٢، ص ٥٣ .

١٧ ـ يرى هيدو Hedou أن طول الحايك ثلاثون شبراً وعرضه أربعة عشر شبراً، وقد شاهدته أثناء مكوثي في الجزائر ، فهو لا يبلغ هذا الطول ، إذ يصل بطوله مترا ونصف متر ، أو يزيد قليلا ، ويسمى بالإزار والطحفة إلى جانب تسميته بالحايك ، راجع وبيكودي هيدو ، خطط مدينة الجزائر ، مجلد ٢ ، ص ٢٨ ، نقلا عن اللسان العربي ، مجلد ٩ ، جـ ٢ ، ص ٣١ .

١٨ ـ يوضع في داخله الطيب لتبقى رائحته طيبة ، وأما الآن فيضعون فيه الروائح العطرية مع المحافظة على نظافته .

١٩ ـ يعكس الخمار تأثيرا شاميا وفد إلى الاندلس مع قيام الدولة الأموية، وظل مستعملا في الأندلس حتى سقوط مملكة غرناطة ، وكان يتمشى مع الزي الأندلسي ، الذي تأثر به المغرب في العصر الوطاسي ، ولعل هذا يرجع في الحقيقة إلى وجود تقارب في الأذواق الاندلسية والشامية ، بحيث كان تأثيرهما واحداً في الألبسة المغربية .

٢٠ ـ هذه الثورة قام بها سكان ثلاث قرى من وادي المنصورة ، فطردوا الرهبان المبشرين ، وأعلنوا تمسكهم بدينهم الإسلام ، فأسرع قائد المنطقة الإسباني بقواته ، وتمكن من إخمادها ، وإخضاع الثائرين ، ثم تلتها ثورة أخرى قام بها سكان جبل بني طوميز . راجع : حومد ، أسعد ، محنة العرب ،ص ١٩٩ .

٢١ ـ أبو عبد الله محمد بو جندار ، مقدمة للفتح في تاريخ رباط الفتح ، مأخوذ من مخطوطة الأنوار النبوية في أنباء خير البرية .

٢٢ ـ دفع الموريسكيون عن طريق ممثليهم ٨٠٫٠٠٠ دوكة Du cadas ، وهي عملة ذهبية قديمة ، اختلفت قيمتها باختلاف العصور ، إلى الملك عن طريق ممثليهم لإلغاء القرار . راجع : حتاملة ، محمد عبده ، مجلة دارسات ـ الجامعة الأردنية ، الملك شارل الأول وموقفه من مظالم الموريسكيين إبان زيارته لغرناطة عام ١٥٢٦م ، المجلد التاسع ، عدد ٢ ، كانون الأول ، ١٩٨٣ م ، ص ٩٩ .

٢٣ ـ ولد في ٢٤/٢/١٥٠٠م في مدينة غانتي (بلجيكا) ، وكان والده دون فيليب الجميل أرشيدوق النمسا من سنة ١٤٧٨ ـ ١٥٠٦م ، وجده الامبراطور مكسيمليان ، وجدته دونيا خوانا المعتوهة ، وهي الإبنة الثالثة للملكين الكاثوليكيين (دون فرديناند ودوانا أزابيلا) ملكي قشتالة وأرغون . حكم إسبانيا من سنة ١٥١٧ ـ ١٥٥٦ م ، راجع : حتاملة ، الملك شارل الأول ، ص ٨٨ ،

Manuel-Ballesteres Beretta, Historia de espaney suihfluencia Lahistoria universal. Tomolv, Barcelona, 1926, Cap: I, P:63-46

٢٤ ـ لعله شبيه الجنبل عند الترك ، والبناقة عند الإسبان والرطفل عند المغول راجع : عبد العزيز بن عبد الله ، اللسان العربي ، مجلد ٩ ، جـ ٢ ، الرباط : ١٩٧٢ م ، ص ٢٣ ـ ٢٤ .

٢٥ ـ يورد الباحث «كوبارروفياس» في كتابه «الكنز» طبعة مدريد سنة ١٩١١م ، بأن Cendal قماش مصنوع من الحرير الناعم ، أو نسيج من الكتان الرقيق الخفيف . والذين يعتقدون بأنه مصنوع من الحرير يقولون بأن أصل الكلمة Sedal ، وبعد إضافة حرف النون الذي سقط تصبح الكلمة Sendal راجع : بن عبد الله ، المعجم ، اللسان العربي ، مجلد ٩ ، جـ ٢ ، ص ٢٤ .

٢٦ ـ يقضي هذا المرسوم بمنع استعمال اللغة العربية ، والعادات والتقاليد الإسلامية منعا باتا ، ومنع استعمال الألبسة العربية ، ومنع امتلاك العبيد ، وإجبارهم على ترك بيوتهم مفتوحة في أيام الأعياد لمراقبة ما يجري فيها ، وإجبار

النساء العربيات على كشف وجوههن حينما يسرن في الشارع ، راجع : حومد ، أسعد ، محنة العرب في الأندلس ، ص ١٧٨ ، ١٧٩ .

٢٧ - حصل ما يماثل ذلك عندما قام دون فيرناندو دي بنغش Don Fernando Vengas ودون ميجيل دي أرغون Don miguel de Aragan ، ودبيغولوبث بنجاره Doubiegolopoz Benajara الذين كانوا نوابا في مجالس البلديات ، والذين قدموا مذكرة يشيرون فيها إلى المظالم التي يرتكبها كاثوليكيو غرناطة بحق إخوانهم الموريسكيين ، فاتخذها الملك شارل الأول ، عام ١٥١٨م ، سببا لفتح ملف الموريسكيين ، والتشديد عليهم راجع : حتاملة، مجلة دراسات ، مجلد٩ ، عدد ٢ ، ص ٩٤ - ٩٥،

Jullio-Caro Baroja

Los moriscos de Reino de Granada,Madrid,1976, 2 endition, P. 52 Rachel, P. III-II2

٢٨ - في ٢٧ أيلول سنة ١٥٦٨م ، دعا ابن جوهر ، قادة الثورة إلى عقد اجتماع لهم في حي البيازين بغرناطة ، وشرح لهم في هذا الاجتماع الأسباب التي دعتهم إلى الثورة . . وبعد أيام من عقد الاجتماع استدعى ابن جوهر ستة وعشرين شخصا من سراة أهل جبال البشرات ، وأشركهم مع رؤساء التنظيم السري ، الذين اتخذوا من حي القصبة بغرناطة مقراً لهم ، وطالبهم بانتخاب شخص يرونه أهلا لرئاستهم ، فاختاروا ابن أخيه محمد ، المسمى بالمصادر الإسبانية (فرناندو محمد) وألبسوه ثوبا أحمر ووضعوا على رأسه عمامة ، وأجلسوه متجها نحو القبلة ، وحوله أربعة أعلام تتجه حرابها إلى الجهات الأربع ، ثم نهض بعد جلوسه وصلى بالحاضرين ، وبعد الانتهاء من الصلاة رفع على الأكتاف وسط التكبيرات والتهليلات ، راجع : حومد ، أسعد ، محنة العرب ، ص ٢١٤ ، ٢١٥ .

٢٩ - كان من أسباب انتكاس ابن فرج عدم تضامن مسلمي غرناطة معه ، رغم تعهدهم له بالمناصرة والمؤازرة ، أثناء انعقاد المؤتمر التحضيري للثوار ، ولو وفوا بعهودهم لتمكن الثوار من احتلال غرناطة ، لأن القائد الإسباني لم يتخذ أي تدبير احتياطي حتى ذلك الحين ، كما قل نشاط دوريات الجيش بسبب تساقط الثلوج ، راجع : حومد ، أسعد ، محنة العرب ، ص ٢١٧ .

٣٠ - ربما كان شبيها بالحذاء الذي كان يلبسة أهل استراخان ، حيث كانت لديهم مكّونة من طيات ثلاث ، الأولى مبطنة بالصوف ، والثانية مبطنة بالكتان ، والثالثة وهي الطية الخارجية مصنوعة من جلد الفرس ، ومبطنة بفرو الذئب . راجع : اللسان العربي ، مجلد ٩ ، جـ٢ ، ص ٣٦ . وعن المواق ، راجع لسان الدين ابن الخطيب السلماني ، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، الاسكندرية ، ١٩٥٨ ، ص ٩٦ .

٣١ - يرجع هذا النوع من الأحذية إلى أصل يوناني ، وقد أطلقها أهل القسطنطينية على الحذاء الذي ينتعله العبيد حسبما ذكر قسطنطين بورفير وجنت .Constation Porphyrogenets الا أن هذه الكلمة محرفة من كلمة Serbes التي حرفت إلى كلمة شربيل Scherbill ، وهو ما أطلق على الأحذية المراكشية الصنع ، ذات اللون الأصفر للرجال والأحمر للنساء ، ولعل هذا النوع من الأحذية يشبه (المداس) المستخدم في بلاد الشام . وكلمة زربول ، أوزربون مأخوذة من كلمة (Servus) شأنها شأن كلمة Serville في اللغة الإسبانية ، ومنها كلمة (Serva) التي كانت تطلق على أحذية جواري وخدم القصور . وجاء ذكر هذا النوع من الأحذية في كتاب (ألف ليلة وليلة) (. . . صنع حذاء من نوع الزرابين حسبما ينتعله العبيد) . وكان ينظر إلى الزرابين بازدراء مثلما ينظر إلى لابسها (منتعلها) ، والزربون (حذاء ضخم) وهو (حذاء طويل Boot أحمر اللون ، بساق واسعة ، وينتهي بدوران في اعلاه ومزدان بكعب من الحديد) ، ولقد انتقل استعماله إلى طبقة ذات شأن في المجتمع ، فقد أصبح في القرن التاسع عشر زمن المستشرق دوزي ينتعله مشايخ القرية ، ويزهون به ، ولكن مفهوم التسمية بقي له دلالته السيئة في طبقات المجتمع في بعض الأمصار العربية كمصر ، فقد سمعت أثناء إقامتي فيها من ألسنة العامة من الناس إن أرادوا تحقير أحد أطلقوا عليه كلمة (عبد زربون) عبد جزمة . راجع : R.Dozy: Supplementary Dictionnaire arabes, 2vol. . Beyrouth,1968, Suppl, I.P.584.

٣٢ - شاهدت هذا النوع من الأحذية أثناء وجودي في المغرب وما زال مستخدما للآن .

٣٣ - يشير المؤرخ ابن عبد الله ، إلى شهرة الجلد المراكشي في مختلف الأمصار . راجع : اللسان العربي ، مجلد ٩ ، ج ٢ ، ص ٣٥ .

٣٤ ـ مشاهداتي في الجزائر خلال مكوثي الطويل فيها .
٣٥ ـ ربما كلمة تاموسة هي التي يراد منها Sandale بالفرنسية ، يقابلها كلمة مداس الشائعة الاستعمال في بلاد الشام . وقد وردت عند النويري في كتابة : تاريخ مصر ، مجلد ٢ . ووردت في كتاب : أسفار في الشمال الأفريقي ، ص ١٥٦ ، لابن الوزان ، الملقب بليون الافريقي . ووردت عند همبر في كتابه : حوليات عربية ، ص ٤١ ـ ٤٥ M.J. Humbert : Arabica inedita راجع : اللسان العربي ، مجلد ٩ ، جـ ٢ ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

المراجع العربية

ابن الخطيب، لسان الدين محمد ، بن عبد الله
- **مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس** ، تحقيق أحمد مختار العبادي ، الاسكندرية : مطبعة جامعة الاسكندرية، ١٩٥٨م .
- **اللمحة البدرية بالدولة النصرية** ، بيروت : دار الآفاق الجديدة، ١٩٧٨ م .

ابن عبد الله ، عبد العزيز
ابن منصور، عبد الوهاب
مظاهر الحضارة المغربية ، الرباط : دار الكتب العربية ، ١٩٦٢ م .

ابن الوزان ، الحسن بن محمد الزيادي الغرناطي ثم الفارسي
قبائل المغرب ، ج ١ ، الرباط : المطبعة الملكية ، ١٩٦٦م .
وصف افريقية ، تعريب عبد الرحمن حميدة ، مراجعة علي عبد الواحد وافي، الرياض : نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٣٩٩هـ .

أبوعبد الله ، محمد بوجندار
مقدمة للفتح في تاريخ رباط الفتح ، مأخوذ من مخطوطة (الانوار النبوية في أنباء خير البرية) الرباط : قسم الوثائق ـ الخزانة العامة .

أرسلان، شكيب
خلاصة تاريخ الأندلس ، بيروت : منشورات دار مكتبة الحياة، ١٩٨٣ م .

بيهم ، جميل
«كيف تعّرب الأسبان وتفرنج العرب» الرباط : **دعوةالحق** ، العدد الثاني، السنة الأولى ، نوفمبر ١٩٦٢ م .

حتاملة ، محمد عبده
- **محنة مسلمي الأندلس** ، عمّان : الجامعة الأردنية ، ط ١، ١٩٧٧م .
- **التهجير القسري لمسلمي الأندلس في عهد الملك فيليب الثاني** ، عمّان، ط ١ ، مطابع دار الشعب، ١٩٨٢م .
- «الملك شارك الأول وموقفه من مظالم الموريسكيين إبان زيارته لغرناطة عام ١٥٢٦ م» **دراسات الجامعة الأردنية** ، المجلد التاسع ، العدد الثاني، ١٩٨٣ م .

حومد ، أسعد
محنة العرب في الأندلس ، بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠ م .

رينهارت ، دوزي
المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب ، تعريب أكرم فاضل ، إعداد عبد العزيز بن عبد الله ، الرباط : مكتب تنسيق التعريب ، اللسان العربي، مجلد ٩، جـ ٢، ١٩٧٢ م .

عنان، عبد الله
نهاية الأندلس وتاريخ العرب المستنصرين ، القاهرة : ط ١ ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٤٩م .

مظهر، علي
محاكم التفتيش ، القاهرة : مطبعة أنصار السّنة ١٩٤٧م .

المقرى ، أحمد بن محمد التلمساني
- **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت : دار صادر : ١٩٦٨م .
- **أزهار الرياض في أخبار عياض** ، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٩م .

مؤلف مجهول
تاريخ الدولة السعدية ، مخطوط في الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ٣٢٧٦ .

النـــووي
الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير ، الجزائر : دار الكتب العلمية، ط ٤ ، ١٩٥٤م .

الونشريسي ، أبومحمد عبد الواحد بن أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي
«أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر، وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر» ، مخطوط قام بتحقيقه حسين مؤنس ، **صحيفة معهد الدراسات الإسلامية** ، مدريد، المجلد الخامس، العدد الأول والثاني ١٩٥٧م .

وبيكودي ، هيدو
«خطط مدينة الجزائر» الرباط : مكتب تنسيق التعريب ، نقلا عن **اللسان العربي، نقلا عن اللسان العربي ، المجلد التاسع** ، جـ ٢ ، ١٩٧٢ م .

المراجع الأجنبية

Dozy **-Supplemént aux Dictionnaires Arabes**2 Vol, Beyrouth, 1968.
-Noms Des Vetements Chez les Arabes,Amsterdam: 1845.

Maryaia, G. **Le Costume Musulman,** Paris: Alger, 1930.

Lapeyre, Henri. **Geographie de L'Espagne Morisque,** Paris:1959

Pignon, Jean **Une Géographie de L'Espagne Morisque Inetudes sur Les Moriscos en tunisie,** Madrid: Tunis 1973.

Baroja, Jullio Caro. **Los Moriscos del Reino de Granada,**Madrid: 1976 (2) edition.

Provencal, Levi **Moriscos,art et encyclopedie de L'Islam,** Paris: Leydeu, 1936.

luiade, Maarmol Carvajal. -"Historia de Larebeliony Castigo delos moriscos delreino de Granada, Bibl. de Autores Espanoles".XXI Vol. I **de Historia dores** desucesos. Madrid: 1946.

-Géographie de L'Espagne Morisque, Dommique ur voy, sur L' evalution de la nation de Gihad dans L'Espagne Musulmane extrait de melanges de Lacase de velasquez Pabli eavede concours de c.N.R.S.T.IX 1973.

Beratta, Manuel Ballesteros. **Historia de espanay suin Fluencia La historia Universal,** Tomo Iv. Barcelona", 1926, Cap: I.

La Fuente, Miguel. **Historia de Granada Tomo,Iv,** Granada: I, 1846. Cop XIX.

Arie, Rachel. **Acerca del traje musulman En Es Panades de La Caida de Granada Hista La ex Pulsion de losmoriscas, Revista del insituto de Estudios,** Islamicos: 13, 1965.